العاطفة فى شعر شوقى

د/ السيد مرسى أبوذكرى

لا يختلف إثنان فى أن شوقى حمل لواء الشعر بعد البارودى ، وسار به موفق الخطى ، وظل يصدح فى أيكه سنوات عديدة بصوت قوى ، ونغم شجى ، وعاطفة حارة ، ونفس أطول ، وعزم أمضى ، حتى حقق لنفسه المجد ، وتألق فى سماء الخالدين ، لما ترك من آثار وخلف من مآثر ، ونال من ثناء ولا غرابة فى ذلك فقد رسم خلوده فقال :

وليس الخلد مرتبـــة تلقى ... وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار ... إذا ذهبت مصادرها بقينا
وآثار الرجال إذا تناهت ... إلى التاريخ خـــير الحاكمينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء ... وتركك فى مسامعها طنينا

تضمن شعر شوقى نبضه الدافق ، ومشاعره المتأججة ، وأحاسيسه المضطرمة نحو دينه ووطنه ، وتجاه الإنسانية جمعاء ؛ فبز أقرانه ، وفاق أترابه ، فى دنيا الشعر وعالم الإبداع. ومن ثم أجمع شعراء العربية على مبايعته بإمارة الشعر فى حفل بهيج سنة ١٩٢٧، يتقدمهم شاعر النيل حافظ إبراهيم قائلا:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

والعاطفة عند علماء النفس : « وجدانى عقلى مكتسب يتكون من تجمع عدة انفعالات وانتظامها وتركيزها نحو موضوع معين » . وتنشأ العاطفة من وجدان حى ، وترتبط بالمثل العليا التى هى : الحق الممثل فى الفكر (١).

---

(١) الفكر : إدراك الحقائق والمعانى والتمييز بينهما .

والخير الممثل فى الإرادة (١). والجمال الممثل فى الوجدان (٢) .

ولما كانت العاطفة من أهم عناصر الشعر اهتم الشعراء بها ، لتوقف الصدق الفنى عليها ، وبدونها يكون الشعر صورا جامدة ، وأنماطا بالية ، وأشكالا جوفاء ، لا تهز الوجدان ، ولا تثير العواطف ، ولا تحرك المشاعر لأن الشعر قيمة إنسانية تواكبه آثار انفعالية ، وإلهام حى ، ويراع مطواع ، لا قيمة لسانية تمضغ الألفاظ ، ويجتر الكنايات ، وتلوك الاستعارات ، ولذا قال العربى الأول :

إذا الشعر لم يهزك عند استماعه فليس جديرا أن يقال له شعر

ولقد أدرك شوقى دور العاطفة فى الشعر ، وضرورتها فى الشاعر ، حتى يأتى بالشوامخ الفريدة ، والخوالد البديعة ، والروائع النابضة فقال :

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

وترتبط العاطفة بالأدب ارتباطا وثيقا ، لأن الأدب تعبير عما فى الحياة من مظاهر ونظم وعادات ، وما فى النفس من معان وخواطر وخلجات ، فى أسلوب يبعث على الرضا ، ويحظى بالإعجاب ، وينال القبول لدى سامعيه. فى كنف العاطفة يبرز جمال الأدب ، وتتجلى أسراره ، ويظهر ما كمن فيه من روائع المعانى ، وروائق الأفكار . وبالتالى يدور على الألسنة ، ويتردد على الأفواه ، ويتناقله الناس فيتحقق له الخلود ، ويكتب له البقاء على مر الأيام وتعاقب الأعوام .

وأمير الشعراء — بماله أو عليه — متعدد الجوانب ، لا يحيط بها بحث محدود الصفحات . وحسبنا أن نشير إليها ، وندل عليها . ونقطة البداية

---

(١) الإرادة : القوة التى تبعث على العمل وتحفز إليه .
(٢) الوجدان : الناحية الحساسة فى النفس ومواطن السرور والألم .

وأولى الخطوات هى العاطفة فى إطار الدين التى غذت طوائف المسلمين بإسلامياته العامة ، والتغنى بالوطن وآثاره ، والألم لما يحل بالعالم العربى من نكبات ، وعنايتها بالمرأة صغيرة وكبيرة باعتبارها نصف المجتمع البشرى ومن بواعث الشعر ، وحيال الانسانية جمعاء .

تلك هى الأطر العامة للعواطف التى أملت على شوقى مثله ، فأججت شاعريته ، وتفتق بيانه بأنغام حالمة وصور موحية . وعلى الرغم من السعة والشمول التى تتميز بها عاطفته ، إلا أن فى الامكان أن تقف على بواعثها فى نفسه ، ومظاهرها فى سعره ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

أولا : العاطفة الدينية :

حفل شعر شوقى بالاسلاميات التى تبرز شخصيته المسلمة ، وتكشف عن عقيدته الراسخة ، وإيمانه العميق ، ويقينه الثابت . وتتجلى من خلالها عاطفته الدينية التى تجاوزت دائرة الاسلام إلى محيط الديانات السماوية الكبرى فقد غنى المسلمين ... ولد الهدى ... وهزهم فى ذكرى المولد ... وأشجاهم بنهج البردة ، فغذى أرواح الجماهير بأعذب لحن ، وأحلى نغم ، وأجمل إيقاع .

وكان شوقى صادق العاطفة فى شعره الاسلامى ، دعا فيه إلى الجهاد فى سبيل الحياة وتدعيم الدين ، وبناء الدولة الاسلامية ، وأفاض عن زعماء الإسلام ، وخص سيد الخلق محمد صلى عليه وسلم بمزيد من العناية ، فصور صفاته ومثله التى أعانت على تحقيق دعوته ، وحولت الأمة المتفرقة إلى دولة إسلامية عزيزة الجانب يقول :

يامن له الأخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
والحسن من كرم الوجوه وخيره ... ما أوتى القواد والزعماء

وإذا سخوت بلغت بالجود الندى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة ... فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا قضيت فلا إرتياب كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما ... فى بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمة ووفاء (١)

وتحدث عن طائفة من زعماء الاسلام ، يعتز التاريخ الإسلامى بهم ، فذكر الخلفاء الراشدين فى نهج البردة ، وأسهب القول عنهم فى أرجوزته : « دول العرب وعظماء الإسلام » وبدأها بالحديث عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق وبلائه فى الإسلام . ثم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والامام على وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان ، وملك بن أمية وعبد الرحمن الداخل (٢) وصلاح الدين (٣) .

بحث المسلمين عن إحترام الأديان والإيمان بالأنبياء الذين سبقوا محمدا عليه السلام فيقول :

إنما الأرض والفضاء لربى ... وملوك الحقيقة الأنبياء
لهم الحب خالصا من رعايا ... هم وكل الهوى هم الولاء
إنما ينكر الديانات قوم ... هم بما ينكرونه أشقياء (٤)

ويتحدث عن المسيحية باعتبارها عنصرا هاما فى المجتمع الاسلامى، فأظهر أن الدين لله ، وعبادته هدف الأديان كلها . مهما اختلفت مسمياتها فيقول :

---

(١) راجع : الشوقيات ١/٣٧ — ٣٨ طبعة ١٩٥٢
(٢) راجع : دول العرب وعظماء الاسلام ص ٤٢ — ٨٦ .
(٣) « الشوقيات ١/٣٢ من قصيدة « كبرى حوادث النيل »
(٤) « المصدر السابق ١/٢٨ .

إنما نحن مسلمين وقبطا أمة وحدت على الأجيال
وإلى الله من مشى بصليب فى يديه ومن مشى بهلال (١)

ويقول :

الدين لله من شاء الإله هدى لكل نفس هوى فى الدين داعيها
ما كان مختلف الأديان داعية إلى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب والرسل والأديان قاطبة خزائن الحكمة الكبرى لداعيها
محبة الله أصل فى مراشدها وخشية الله أسمى فى معانيها (٢)

أشاد شوقى بخلافة الترك ، ومجد بطولتهم ، تقوده عاطفة مبعثها الحفاظ على الإسلام والمسلمين ، ومصر وبلاد العروبة . لإيمانه أن الخلافه رمز للدين ، والأتراك — فى نظره — يمثلون العالم الاسلامى ، وعاصمتهم — الاستانة — الرابطة الدينية والروحية . ومن هنا دعا فى قصائده التركية لتدعيم وحدة المسلمين وتقوية الروابط بينهم ، حتى يثبتوا أمام تيار الأحداث الجارف .

ولقد أفصح عن هذا الغرض فى قوله للسلطان عبد الحميد :

رضى المسلمون والاسلام فرع عثمان دم فداك الدوام
أمة الترك والعراق وأهلو ه ولبنان والربا والخيام
عالم لم يكن لينظم لولا أنك السلم وسطه والوئام
رضع الشرق فى يديك يده وأنت من حماته الأقسام (٣)

ومما يدل على أن عاطفة شوقى الاسلامية ، كانت أوثق الروابط التى تصله

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٢٢٨ .
(٢) راجع : الشوقيات ١/٢٢٩ . الراشد : مقاصد الطرق .
(٣) المصدر السابق ٢٨١ — ٢٨٤ . فرع عثمان : السلطان عبد الحميد .

بالخلافة ، دفاعه عنها حباً فى الله ودينه طوال حياته ، إسمعه يقول :

عهد الخلافة فى أول زائد عن حوضها بيراعه نضاح
حب لذات الله كان ولم يزل وهوى لذات الحق و لاصلاح
إنى أنا المصباح لست بضائع حتى أكون فراشه المصباح(١)

ويفصح عن الوشيجة الدينية فى نفسه فيقول :

يؤلف إيلام الحوادث بيننا ويجمعنا فى الله دين ومذهب (٢)

وحين نزلت « بأدرنه » (٣) نازلة بكاها ، وبكى فيها الأندلس ، وربط بين الأحداث فقال :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام
نزل الهلال عن السماء فليتها طويت وعم العالمين ظلام
صبرا أدرنة كل ملك زائل يوما ويبقى المالك العلام (٤)

ويرتفع بعاطفته الدينية إلى أسمى درجات التأثر بالحادث . وما حل بالمسجد وشعائر الدين الحنيف من تغيير وتبديل فقال :

---

(١) المصدر السابق ص ١١٦ . الزائد : الحامى الدافع . النضاح : الدافع أيضاً .
(٢) االصدر السابق ص ٤٨
(٣) أدرنة : إحدى المدن العثمانية فى مقدونيا جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب ١٩١٢ ، بعد أن أبلت حاميتها فى الدفاع عنها .
(٤) راجع الشوقيات ١/٢٧٢ .

خفت الأذان فما عليك موحد يسعى ولا الجمع الحسان تقام
وخبت مساجد كن نورا جامعا تمشى إليه الأسد والآرام (١)

وحيث ضاعت الخلافة على يد مصطفى كمال أنا تورك بكى وأبكى المسلمين معه .

وقد تمثل ذلك فى قصائده التى سجل فيها أحداث دار الخلافة الصعبة ، وإذا رجعت إلى قصيدته « خلافة الاسلام » تحس بالمرارة والأسى التى تختلج فى نفسه ، مما أفاض شاعريته انغاما شجية يقول .

عادت أغانى العرس نوح نواح ونعيت بين معالم الأفـــراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ودفنت عند تبلـــج الأصباح
ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواح
الهنـد والهة ومصر حزينة تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمما من الأرض الخلافة ماح؟
وأتت إليك الجمع الجلائل مأتما فقعدن فيه مقاعد الأنواح (٢)

تلك هى مظاهر عاطفة شوقى الاسلامية فى تركيته ، خلط فيها العقيدة بالنسب ، وستر إحداهما فى الأخرى ، ثم قدمها لجماهير المسلمين دعوات صوفيه خالصة ، فهز أوتار شعبنا المسلم فى فـــترة كانت عواطفه الدينية متفاوتة من الصدق العقائدى .

وتتجلى عاطفته الدينية فى إسلامياته العامة ، وبخاصة مدحه لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى قصائد عديدة ، أودعها أحاسيسه الصادقة وعواطفه

---

(١) المصدر السابق ١/٢٨٠ .
(٢) « « ١/١١٤ .

الفياضة ، وانفعالاته الجياشة ، وحبه الصادق . يقف من دعاوى المشككين في الدين الحنيف وصاحب الدعوة السمحة ، موقف المؤمن الغيور على دينه ، ويرد سهامهم إلى نحورهم فيقول :

بك يابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
فرسمت بعدك للعباد حكومة ... لا سوقة فيه ولا أمراء
والدين يسر والخلافة بيعة ... والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت إمامهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا اطفرة ... وأخف من بعض الدواء الداء(١)

ويستخف من القول بإنتشار الاسلام بالسيف ، وعلى فرض صحته ، فإن ذلك لا يغضى من شأن الاسلام ، ولا يقلل من قدر زعمائه. لأن المسيحية على ماقيل عن سماحتها - قد انتشرت بالسيف حينما احتضنتها الدولة الرومانية بعد حياة المسيح . ودعا إلى القوة ، فالمسلم لا يحميه إلا السلاح ، لأن «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » يقول :

وعلمنا بناء المجـــد حتى ... أخذنا إمرأة الأرض إغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى ... ولـــكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما أستعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا(٢)

ومع ذلك يحرص على توضيح الجانب الأظهر والأسمح للاسلام فيقول :

إن الشجاعة فى الرجال غلاظة ... ما لم تزنها رأفة وســـخاء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا ... فالمجد ومما يدعـــون براء

---

(١) راجع الشوقيات ١/ ٤٠
(٢) المصدر السابق ٧٣
(٣) » » ٤٢/١

ويعود ويؤكد قيام الاسلام على الاقناع دون اكراه فيقول :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم (١)

وكثيرا ماكانت لحظات إشراق روحى تأخذ بشوقى ، فتجرى على لسانه نغمات روحية خالصة ، وألحان تأملية مشرقه ، بعيدة عن أوزار الماديات يقول :

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية ... وإن بدا لك فيها حسن مبتسم
يا ويلتاه لنفسى راعها ودها ... مسودة الصحف فى مبيضة اللمم
ركضتها فى مربع المعصيات وما ... أخذت من حمية الطاعات للتخم
هامت على أثر اللذات تطلبها ... والنفس إن يدعها داعى الصبا تهم (٢)

ومن ثم جاءت عاطفة شوقى فى إسلامياته ، تحمل إشراق نفسه ، وذوب فؤاده ، وصفاء روحه ، وكان جماهيرياً فى عواطفه ، مما أضعف من ذاتياته ، وأكثر من خطابياته الجماهيرية فى شعره الاسلامى .

ولا خلاف فى أن شوقى نافح عن الاسلام بشعر قوى يحمل عواطفه المؤججة وأحاسيسه المشبوبة ، حتى قال أكثر من غيره ، وخاصة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذا قال :

لى فى مديحك يا رسول عرائس ... تيمن فيك وساقهن جلاء
من الحسان فان قبلت تكرما ... فمهورهن شفاعة حسناء

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٢ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

أنت الذى نظم البرية دينـه ماذا يقول وينظم الشعراء(١)

تلك هى أبرز مظاهر العاطفة الدينية عند شوقى ، دعوات صوفية خالصة ، ولحظات تأملية مشرقة ، وتسابيح عذبة موحية ، هلل لشعب الإسلامى لها ، بعد أن هزت أوتار قلبه بأنغام دينية حالمة وترنم المسلمون فى شتى البقاع من حين لآخر .

ثانياً : العاطفة الوطنية :

امتن الله بمصر على شوقى ، فألهمته روائع الشعر ، وصقلت أحداثها موهبته فجاءت واضحة كطبيعتها ، صافية كسمائها ، وجرى شعره رقراقا كنيلها ، عذبا كماء الفرات ، وانعكست طبيعتها السمحة على مرآته الشفافة ، فاهتز وتره ، وعزف على قيثارة الشعر أناشيد خالدة وأنغاما حالمة . وامتن الله بشوقى على مصر ، فتغنى بمرابعها ، وشدا بآثارها فى أعذب لحن ، وأحلى نغم فاعجب واطرب ، وبكى أحزانها مما خفف من بلوائها وضرب على أوتار الحماسة ، فألهب المشاعر ببيانه ، وأثار العواطف ببلاغة قوله ، فثار الشعب فى وجه الأعداء يطالب بحقه من مغتصبيه .

وامتن الله بمصر وشوقى على الأمة العربية ، حيث قادت مصر الكفاح العربى ، وضربت المثل الحى فى التضحية والبذل والفداء ، وقاد شوقى جموع الشعب بالكلمة المتلهبة ، فتأججت نار الثورة فى مصر وفلسطين والشام ولبنان والجزيرة العربية ، واحتدمت معارك الكفاح ؛ وتعددت هنا وهناك مما جعل المستعمر يترنح أمام ضربات الوطنيين .

شملت عاطفة شوقى الوطنية القديم والحديث من تاريخ مصر ، وامتدت

---

(١) راجع : الشوقيات ١/٤٣ طبعة ١٩٥٢ .

إلى مايدين الوطن لها ، هما : الإسلام والعروبة . ولذا نراه يدافع عن الخلافة والدين وحروب الأتراك من أجل الإسلام ، وجعل العروبة مصدر إلهامه ، فوصف جمال بلادها ، وخلد العظماء من رجالها ، وآساها فى نكباتها حتى صار شعره — كما يقول — الغناء فى فرح الشرق ، والبكاء فى أحزانه .

حب شوقى مصر حباً ملك عليه نفسه ، يستعذب الشقاء فى سبيلها ، ورصد قلمه لسحق أعدائها والحاقدين عليها فيقول :

أحبك مصر من أعماق قلبى ... وحبك فى صميم القلب نامى
سيجمعنى بك التاريخ يوما ... إذا ظهر الكرام على اللئام
لأجلك رحت بالدنيا شقيا ... أصد الوجه والدنيا أمامى
وأنظر جنـــة جمعت ذئابا ... فيصرفنى الأباء على الزمام
وهبتك غير هياب يراعا ... أشد على العدو من الحسام (١)

لما أدرك المحتل أن شعر شوقى الوطنى يؤلب الناس عليه ، نفاه إلى الأندلس وما كاد يستقر مقامه بها حتى استبد به الشوق ، وهفت نفسه إلى مغنى أترابه وملعب صباه . وحدث أن رأى طائراً فى « وادى الطلح(٢) » ، فناجاه فى حرقة محزون ، ولوعة مكلوم قائلا :

يانائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم تأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدا ... قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا ... أخا الغريب وظلا غير نادينا
فإن يك الجنس يابن الطلح فرقنا ... إن المصائب تجمعن المصابينا
آها لنا نازحى أيك بأندلس ... وإن حللنا رفيقا من روابينا

---

(١) راجع : الشوقيات ١ / ٢٥٢ .
(٢) الطلح : واد بظاهر أشبيلية ، كان ابن عياد شديد الولع به .

ومصر لدى شوقى أمه التى تحنو عليه ، كأم موسى التى وضعت وليدها(١) فى النهر من أجل نجاته يقول :

لكن مصر وإن أغضت على مقة ... عين من الخلد بالكافور تسقينا
بنا فلم نخل من روح يراوحنا ... من بر مصر وريحان يفادينا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا ... وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا(٢)

ويصور قلبه المستطار إذا سمع صفير البواخر يدوى ، ويتخيل أنفاسه مرجلا ، وقلبه شراعاً ، ودموعه بحراً ، ونفسه مسرى البواخر ، فيقول :

مستطار إذا البواخر رنت ... أول الليل أو هوت بعد جرس
نفسى مرجل وقلبى شراع ... بهما فى الطلوع سيرى وأرسى
واجعلى وجهك الفنار وبحرا ... ك يد الثغر بين رمل ومكس
وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى ... شخصه ولم يخل حسى(٣)

ويصور فرحته بعد عودته لوطنه فيقول :

وياوطنى لقيتك بعد يأس ... كأنى لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى ... عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهى ... لذا فهت الشهادة والمتابا(٤)

---

(١) راجع الشوقيات ١٢٧/٢ طبعة ١٩٤٨ .
(٢) المصدر السابق ٢ / ١٢٨ طبعة ١٩٤٨
(٣) راجع : الشوقيات ٢ / ٥٤ ، ٥٥ .
(٤) المصدر السابق ٢ / ٦٨ .

ويرفع الوطن إلى منزلة تبلغ حد العبادة فيقول :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا
دلوا إليه فى الدروس وجوهكم وإذا فرغتم فاعبدوه هجودا(١)

وبالغ من كلفه بمصر وتاريخها وماضيها المشرق فقال :

وأنا المختص بتاريخ مصر من يصن مجد قومه صان عرضا(٢)

وحبه لمصر جعله يضفى على المصريين هالة من نور المعرفة ، لسبقهم أساتذة اليونان والرومان فيقول :

فكانوا الشهب حين الأرض ليل وحين الناس جد مضللينا
مشت بمنارهم فى الأرض روما ومن أنوارهم قبست أثينا(٣)

ويصور فى ذكرى « دنشواى » أسى الأهالى وأرقهم من أجل الضحايا، ويسخر من غبطة المستشار الإنجليزى لوقوع العديد من الضحايا فيقول :

نوحى حمائم دنشواى وروعى شعباً بوادى النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالت بينه سحرا وبين فراشه الأحلام
متوجع يتمثل اليوم الذى ضجت لشدة حوله الأقدار
السوط يعمل والمشانق أربع متوحدات والجنود قيام
والمستشار إلى المظالم ناظر تدمى جلود حوله وعظام
فى كل ناحية وكل محلة جزعا من الملأ الأسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة وعلى وجوه الثاكلات رغام(٤)

---

(١) الشوقيات ١ / ١٣٤ .
(٢) الشوقيات ٢ / ٦٨ .
(٣) الشوقيات ١ / ٣١٤ .
(٤) الشوقيات ١/٢٨٧ .

ويشيد بثورة مصر ١٩١٩ — لم يرها لنفيه — ويتمنى لو عاينها لسجل أحداثها فى ملاحم طوال خوالد يقول :

يوم البطولة لو شهدت نهاره لنظمت الأجيال مالم ينظم
غبنت حقيقته وفات جمالها باع الخيال العبقرى الملهم
لولا عوادى النفى أو عقيانه والنفى حال من عذاب جهنم
لجمعت ألوان الحوادث صورة مثلت فيها صورة المستسلم
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه وحكيته متغيطا لم يكظم(١)

ومجد الشباب الذين أبلوا فى الثورة ، وسجن بعضهم ثم أطلق فقال :

ولقد صدقتم هذه الارض الهوى والحر يصدق فى هوى أوطانه
أمل بذلتم كل حال دونه وفقدتم ماعز فى وجدانه
الليث يدفعكم بشدة بأســـه عنه ويطعمكم بفـرط لبانه
ويريد هذا الطير حرا مطلقا لكن بأعينه وفى بستانه(٢)

ويفخر فى قصيدة « أيها النيل » التى أهداها إلى المستشرق « مرجيلوت » بأن النيل مهد الحضارة ، فى واديه نبتت ، وفى ربوعه ترعرعت ، ومن مصر ارتوى عطاشى العلم ، ومنها انبلج نور التوحيد منذ أخناتون فيقول :

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك بخلق
ولدت فمكت المهد ثم ترعرعت فأطلها منـــك الحنى المشفق
ملأت ديارك حكمة مأثورة فى الصخر والبردى الكريم منمق
وبنيت بيوت العلم بازخة الذرى يسعى لهن مغرب ومشرق

---

(١) راجع الشوقيات ٢/٢٣٥
(٢) راجع الشوقيات ١/٧٠٢ .

واستحدثت دنيا فكان فضائلا وثناء أخلاق يطول ويشهق
مهد السبيل لكل ومن بعده كالسك رياء بأخرى تعبق(١)

وباهى بالآثار المصرية مباهاة المعجب ، فيكشف عن معالم العظمة فيها ، فتراه يصور الأهرام ، وهى تبدو فى بحر من الرمل كالسفينة فى البحر ، وكأن الضحى يغمرها بأشعة من لهب كنوز مصر فيقول :

كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لابنيان بانينا
أيوانه الفخم من عليا مفاخره يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا
كأنها ورءالا حولها التطمت سفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحى ذهبا كنوز فرعون غطين الموازينا

ويناجى أبا الهول ، ويجعله قرين الجبال لا يزول إلا معها يوم البعث ، ويراه أفطس الأنف لطول ماأثرت فيه العوامل ، وهو أولا وأخيراً من صنع جن يقول :

«ورهين الرمال» أفطس إلا أنه صنع جنة غير فطس
تتجلى حقيقة الناس فيه سبع الخلق أسارير أنس
لعب الدهر فى ثراه صبياً والليالى كواكب غير عنس
ركبت صيد المقادير عينيه لنقد ومخلبيه لفرس
فأصابت به الممالك: كسرى وهرقلا والعبقرى الفرنسى(٢)

ويشيد بالآثار بصورة عامة . ويظهر قوتها وعظمتها وسموها ، فيقول فى قصيدة «كبرى حوادث النيل» .

وبنينا فلم نخل لبان وعلونا فلم يجزنا علاء
وملكنا فالملكون عبيد والبرايا بأمرهم أمراء

---

(١) الشوقيات ٢/٨٥ .
(٢) راجع الشوقيات ٢/٥٦ طبعة ١٩٤٨

قل لبانى نى فشاد فغالى لم يجز مصر فى الزمان بناء
ليس فى الممكنات أن تنقل الأجيال شما وأن تنال السماء
أجفل الجن عن عزائم فرعو ن ودانت لبأسها الأناء
شاد ما لم يشده زمان ولا أنـ شأ عصره ، ولا بنى بناء(١)

وشوقى لم يحبس عواطفه فى إطار الوطنية المصرية ، بل تعدتها للدول العربية أو الإسلامية . ونراه يجزع لما أصاب دمشق — حين ضربها الفرنسيون بالقنابل — فكانت قصيدته « نكبة دمشق » وحملت أبياتها عاطفته العربية الحزينة ، لأن قلبه جرح جراحا لايلتئم فيقول :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لايكفكف يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافى جلال الرزء عن وصف يدق
وذكرى عن خواطرها لقلبى إليك تلفت أبداً وخفـــق
وبى مما رمتك به الليالى جراحات لها فى القلب عمق(٢)

وعلى أثر ضرب الأسطول الإيطالى لمدينة « بيروت » اهتزت عواطفه وقال قصيدته فى نكبة بيروت أسى وحسرة ، ولوعة وألماً فقال :

بيروت ياراح النزيل وأنسه يمضى الزمان على لأسلوك
تالله ما أحدثت شراً أو أذى حتى تراعى أو يراع بنوك
سالت دماء فيك حول ساجد وكنائس ومدارس و « بنوك »
كنا نؤمل أن يمـــد بقاؤها حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك فى ربى النيل المبارك جيرة لو يقدرون بدمعهم غسلوك(٣)

---

(١) راجع الشوقيات ١ /١٨ طبعة ١٩٥٣
(٢) راجع الشوقيات ٢/٨٨ طبعة ١٩٤٨
(٣) الشوقيات ١/١٩٥ ، ١٩٦

وراء سقوط « أدرنه » فى يد البلغار فبكاها وأبكى المسلمين معه ، وقرنها بسقوط الأندلس ، ورآها أندلساً جديدة يقول :

نزل الهلال عن السماء فليتها ... طويت وعم العالمين ظلام
جرحان تمضى الأمتان عليهما ... هذا يسيل وذاك لا يلتام
بكما أصيب المسلمون وفيكما ... دفن اليراع وغيب الصمصام
مابين مصرعها ومصرعك انقضت ... فيما نحب ونكره الأيام
خلت القرون كيلة وتصرمت ... دول الفتوح كأنها أحلام(١)

تلك هى مظاهر عاطفة شوقى الوطنية ؛ تحمل حبه لمصر وآثارها ومشاركته للعالم العربى والإسلامى فى الأفراح والأتراح ، وهى — فى جملتها — تكشف عن وطنية صادقة ، وإحساس قومى دافق ، فللرجل بيتان ندد فيهما بمظالم الاستعمار ، ووصم الاحتلال يغنيان عن قصائد طوال حيث يقول :

أحرام على بلابله الدو ... ح حلال للطير من كل جنس
كل دار أحق بالأهل إلا ... فى خبيث من المذاهب رجس(٢)

ثالثا : العاطفة نحو المرأة :

المرأة إحدى مظاهر الجمال فى الحياة ، وأعظم منابع الشعر فى النفوس ، هى التى تحرك العواطف ، وتثير المشاعر ، وتشيع البهجة وتفيض بالأنس ، وتضفى على الحياة مظاهر من الحب والتآلف ، والود والتعاطف والسحر والحسن . مما يفجر الحياة فى الصخر ويملأ الصحراء بالزهر فتستيقظ الأحاسيس الخافية ، وتسكب الرحمة بين الشغاف . وبذا يكون شعر الحب والغزل أجمل تعبير عن إدراك ما فى الحياة والنفوس من جمال وجلال .

(١) الشوقيات ١/٢٧٣
(٢) الشوقيات ٢/٥٤ ، ٥٥

جاء أغلب شعر شوقى عن المرأة محاكاة للأقدمين فى إفتتاح قصائدهم ، وتصويرهم الجمال الحسى وظواهر الاشياء ، لا يلتمس القارىء فيه الوجدان العاطفى ، بل يجده فنا مصنوعا ، وأدبا لا روح فيه ولا قوة . نراه يشبه النساء بالظباء والجآذر والرشأ الأغر والآرام وغيرها من أوصاف شعراء العربية القدامى . وليست الظباء وغيرها أقرب إلى النفوس . وأجمل فى الأعين — الآن — من غادات الحواضر الشرقية والغربية : وإن إتسمت بسمة من الجمال تخلو معظم النساء منها . لكن ملامح تلك السمة والتشبيهات القديمة لا يعرفها إلا القليل اليوم . فليس من البراعة الأدبية أن تساق تشبيهات لا تدرك غايتها ولا يستبين المراد منها . ومن ثم أشبه حديثه عن المرأة بالموضوعات التى تتحدث عن العيس والإبل والحداء والرحل والهودج والجام واللجام ، فى عصر يموج بفنون من المتع وملكات الجمال وريات الموسيقى الحالمة والأنغام الحانية .

وإليك بعض الألفاظ القديمة ، والتشبيهات الأثرية ، والمعانى المعادة المكرورة فى حديثه عن المرأة محاكيا فيها القدماء فى افتتاح قصائده يقول فى مطلع قصيدته فى مشروع ملنر

إن عنان القلب وأســـلم به من دبرب الرمل ومن سربه (١)

ويبدأ قصيدته فى تكريم وزارة سعد زغلول ١٩٢٤ بقوله :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا الباسمات عن اليتيم نضيدا (٢)

وفى مطلع « نهج البردة » يقول :

ريم على القاع بين البان العلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم (٣)

---

(١) الشوقيات ١/٧٤

(٢) المصدر السابق ١/١٣١

(٣) المصدر السابق ١/٢٣١

وبدأ قصيدته « لبنان » بمطلع :

السحر من سود العيون لفيته والبابلى بلحظهن سقيته (١)

وغيرها من المعانى الغزلية التى رددها القدماء ، وإن أضفى عليها شيئا من التجديد فى حسن التصرف ، وجودة الاختيار ، ودواعى التغنى . ولعله أراد بمحاكاة الأقدمين فى الحديث عن المرأة أن يبزهم فى هذا المضمار ويطبع نفسه بطوابع القوة والرصانة ، كما فعل أستاذه البارودى قبله .

ومع ذلك فقد حمل شعره عن المرأة عاطفة قوية صادقة ووجدان ملتهب بلغ فى بعضه الغاية والاتقان . من مثل حديثه عن فتيات عصره وساحراته من الكواعب الأتراب ، والغيد الحسان ، والقوانى الخرد ، والحور الشواذب وربات الشعر الأسود والعيون النجل والجفون الكحل والقدود الممشوقة ، والأعناق الساحرة والخصر النحيف والردف الثقيل وغيرها مما زخرت به قصور القاهرة وشطئان الاسكندرية وضفاف البسفور وغيرها من حواضر الحسن ومدن الصبابة والجمال .

وهو فى هذا اللون قوى العاطفة ملتهب الوجدان يصف الحب وعذابه أو نعيمه ودلال الحبيب وعتابه ولقاءه وهجره . وقد تضمن فنونا وفنونا فيها جرأة على الحياة ذات أنغام فاتنة ونبرات لاهية يقول :

روعوه فتـــولى مغضبا أعلمتم كيف ترتاع الظبا
خلقت لاهية ناعمـــة ربما روعها مر الصبا
لو رأونا والهوى ثالثنا والدجى يرخى علينا الحجبا
فى جوار الليل فى ذمته نذكر الصبح بأن لا يقربا
ملء بردينا عفاف وهوى حفظ الحسن وصنت الأدبا

---

(١) الشوقيات ٢/١٨٧
(٢) الشوقيات ٢/١٤٦

يصرخ من عذاب الحب شاكيا ، فى الوقت الذى يحرص فيه على العتاب والهجر فيقول :

أريد سلوكم والقلب يأبى وأعتبكم وملء النفس عتبى
وأذكركم برؤية كل حسن فيصبوا ناظرى والقلب أصبى
وأعلم أن دأبكم جفائى فما بالى جعلت الحب دأبا
أتجزين عن الزلفى نفاراً ؟ عتبتك بالهوى وكفاك عتبا
أخذت هواك عن عينى وقلبى فعينى قد دعت والقلب لبى
وأنت من المحاسن فى مثال فديتك قالبا فيه وقلباً(١)

وله لفتات بارعة تكشف عن عاطفة قوية وخيال ثر فياض رقيق فى موسيقى حالمة يقول أمير الشعراء :

الله فى الخلق من صب ومن عانى تفنى القلوب ويبقى قلبك الجافى
صونى جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحانى
أو فابتغى فلكا تأوينه ملكا لم يتخذ شركا فى العالم الفانى
إذا تبسم أبدى الكون زينته وإن تنفس أهدى طيب ريحان
وأشرقى من سماء العز مشرقة بمنظر ضاحك اللألاء فتان(٢)

اختار رواد الغناء بعض قصائد شوقى عن المرأة ، وغنوها لرقتها وجمال موسيقاها .

مثل :

يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الأحلام من ذكراك (٣)

---

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ١٤٥
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ١٧٥
(٣) الشوقيات جـ ٢ ص ١٧٥

ومثل :

علموه كيف يجفو بعدما ظالم لاقيت منه ما كفى(١)

ومثل :

مقادير من جفنيك حرلن حاليا قذفت الهوى من بعدما كنت خاليا(٢)

ومن أروع ما قاله شوقى فى المرأة ، إحدى روائعه ذات الأسلوب الحلو والمعانى العذبة والخيال البارع يقول :

ردت الروح على المضنى معك أحسن الأيام يوم أرجعك
مر من بعدك ما روعنى أترى يا حلو بعدى روعك
وبعثت الشوق فى ريح الصبا فشكا الحرقة مما استودعك
يا نعيمى وعذابى فى الهوى بعذولى فى الهوى ما جمعك
أنت روحى ظلم الواشى الذى زعم القلب سلا أو ضيعك
موقعى عندك لا أعلمه آه لو تعلم عندى موقعك(٣)

اهتم شوقى بالمحافظة على المرأة ، فدعاها إلى التحلى بالأخلاق والفضائل والتربية السليمة بعيدة عن الخلاعة والمجون . ولما رأى أن الحركة النسوية فاقت ما قدر لها ، بعد إنتشار المدارس واختلاط البنات بالبنين فى التعليم وقاعات المحاضرات قال قصيدته « مصر تجدد مجدها بنساؤها المتجددات »

قم حى هذى النيرات حى الحسان الخيرات
زين المقاصر والحجا ل وزين محراب الصلاة
هـــذا مقام الأمها ت ، فهل قدرت الأمهات

---

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ١٦٣
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٧٧
(٣) راجع الشوقيات جـ٢ ص ١٦٢

لا تلغ فيه ولا تقل غـــير الفواصل محكمات
خذ بالكتاب وبالحديـ ث سيرة السلف الثقات
هذا رسول الله لم ينقص حقوق المؤمنات
العـــلم كان شريعة لنســـائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا سة والشؤون الأخريات
كانت سكينة تملأ الدنيا وتهـــزأ بالمروات
وحضارة الإسلام تنـ طق عن مكان المسلمات
بغـــداد دار العالما ت ومنزل المتأدبات
ودمشـــق تحت أمية أم الجـــوارى النابغات
ورياض أندلس تمـ ن الهاتفات الشاعرات(١)

ولما رأى أحمد شوقى أن المرأة استجابت لدعوة قاسم أمين ، وأخذت تمزق الحجاب ، وتحطم الجلباب ، وقف متردداً بين تشجيعها على السفور الذى فرضته ظروف العصر ، والحجاب الذى تحتمه التقاليد الإسلامية ، فكانت قصيدته « بين الحجاب والسفور » التى مطلعها

صداح يا مالك الكنا ر يا أمير البلبل

حذر فيها المرأة من عاقبة الحجاب ، خشية الجهل ، ولم يستطع أن يكتم أسفه لما تعايشه المرأة إذ ذاك فيقول :

يا ليت شعرى يا أسيـ رشج فؤادك أم خلى
وحليف سهد أم تنا م الليـل حتى ينجلى
بالرغم منى ما تعا لج فى النحاس المقفل
يا طير والأمثال تضـ ـرب للبيب الأمثل

---

(١) الشوقيات جـ ١ ص ١١٠ — ١١٢

دنياك من عاداتها ألا تكون لأعزل
أو للغبي وإن تعلل بالزمان المقبـــل
جعـــلت لحر يبتلى فى ذى الحياة وتبتلى
يرمى ويرمى فى جهـا د العيش غير مغفل
مســـتجمع كالليث إن يجهل عليه يجهل(١)

ويخاطب أم المحسنين — والدة الخديوى عباس الثانى — حين عودتها من تركيا بعد غيبة طويلة فيقول :

إرفعى الستر وحى بالجبين وأرميا فلق الصبح المبين
وقفى الهودج فينا ساعة فنقتبس من نور أم المؤمنين(٢)

لم يحبس شوقى حديثه على المرأة المصرية ، بل تجاوزه إلى المرأة العثمانية فرأى فى نظره ملك يتعبد فى مصلاه ، مبارك فى يومه وأمسه ، وميمون فى غده ، فأضاءت المنزل والمسجد معا ، وانفردت عن غيرها فى حسن تربية الولد حتى أشربته حب الوطن ، والخوف من الله ، وحماية السلطان يقول:

يا ملـكا تعبـدا مصـــليا موحدا
مباركا فى يومه والأمس ميموناً غداً
تجـــله فى حسنـــه كما تجـــل الفرقـدا
أنت شعاع من عـل أنزله الله هـــدى
كم قد أضاء منزلا وكم أنـــار مسجداً
لولا التقى لقلت لم يخلـــق سواك الوالدا
يأخـــذ مـــا عودته والمـــرء ما تعودا

---

(١) راجع : الشوقيات ١/٢١٤ — ٢١٧
(٢) المصدر السابق ص ٣٠١

مـا انفردت فى الورى بفضـــله وأنفـــردا
أنت الذى جنـدته وسقتـه إلى الردى
وقلت كن لله ، والسلطا ن ، والترك ، فدى (١)

تلك هى أهم مظاهر عاطفة شوقى نحو المرأة صغيرة كانت أو كبيرة ، مصرية أو غير مصرية ، تراه فيها قد تخلص من تقاليد القدماء ومعارضتهم ، ومن ثم جاء حديثه عنها صادقا ، يعبر عن شعوره ، ويصور مافى نفسه من أحاسيس ونبضات ، ولم يعد ما ألفناه من الحديث عن الخدر والوجنات ، والوجه والقسمات ، والقد والنفور ، والعناق والقبلات .

رابعا . العاطفة الإنسانية :

الحياة فى جوهرها ثابتة ، ولكن ظواهرها تتغير وتتجدد . والفنان المبدع يقبع فى محرابها يتأمل سرها ، ويستنطق ماحفلت به من كائنات ، عله يقف على مايسعد البشر بعواطفه المثيرة وأحاسيسه الموحية وانطباعاته النبيلة ، وكلما كانت عميقة فى نفسه جاءت دافقة بالحياة تمتلك المشاعر ، وتستهوى الأفئدة وتستحوذ على القلوب .

وعلى الرغم من أن شوقى عاش جل حياته حبيس القصر ، والأمراء فقد خرج عن نطاق الذاتية إلى مجالات الإنسانية الرحبة ، نراه يحس بآلام غيره ، ويشجيه مايصيبهم من أحزان ، أو ينزل بساحتهم من ضيق ، ويدافع عن الصغير والضعيف ، القريب والبعيد رغبة فى السلام ، ويتعاطف مع الحيوان أملا فى الرحمة والشفقة ، ومرجع ذلك إلى روحه التى تفيض إنسانية ورقة ، وتتدفق إخاء ومودة ، وإخلاصا وإكبارا واحتراما لما أبدعه الخالق :

---

(١) راجع الشوقيات جـ٢ ص ٢٢ - ٣٣ طبعة ١٩٤٨ .

وإنسانية شوقى واضحة المعالم ، بارزة الخطوط ، صادقة الألوان ، تدل على شخصية نبيلة تحرص على دعوة الناس إلى الحب والتآخى ونبذ الاحقاد والضغائن ، يجمل ذلك كله حياء طرف ، وعفة لسان ، وصفاء نفس ، ونقاء سريرة ، وطهارة طوية . ومن ثم لم يسلك ضروب سابقيه فى تسجيل معايب الناس . فخلا شعره من الهجاء . لإيمانه أنه يحدث فتنا . ويريق دماء ، ويحرج قوما ويجرح آخرين .

تطالعنا صفحات مشرقة من حياة شوقى على جانب كبير من الوداعة ودقة الحاشية ، لايستفزه الغضب . وينفر من ذكر المآسى ويفر من رؤيتها يقول :

وتشهد ما أذيت نفساً ولم أضر ، ولم أبغ فى جهرى ولا خطراتى
ولاغلبتنى شقوة أو سعادة على حكمة أتيتنى وأناة (١)

ومن أروع مواقف شوقى الإنسانية . موقفه من اتجاه صغار الطلبة فى مصر إلى الانتحار بعد سقوطهم فى الامتحانات . نراه ينظم قصيدة يقطع عليهم فيها سبيل اليأس . ويبسط لهم سبيل الأمل والرجاء منها قوله :

نشأ الخير رويدا فتلكم فى الصبا النفس ضلال وخسران
لو عصيتم كاذب اليأس فما فى صباها ينحر النفس الضجر
تضمر اليأس من الدنيا وما عندها عن حادث الدنيا خبر
فيم تجنون على آبائكم ألم الثكل شديدا فى الكبر
وتعقون بلادا لم تزل بين إشفاق عليكم وحذر
فصاب الملك فى شبانه كصاب الأرض فى الزرع النضر (٢)

---

(١) راجع الشوقيات جـ١ ص ١٠٥ طبعة ١٩٥٣ .
(٢) راجع : الشوقيات ١/١٥٣ — ١٥٤

ونجـــده فى مراثيه للزعماء العرب والمسلمين ، يصور حال الشعوب وما تلقاه من أهوال وويلات . ففى الذكرى السابعة عشرة لشهيد الحق — مصطفى كامل — وصف ما أصاب البلاد سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ، مشيراً إلى ما تحتاجه البلاد من وسائل الإصلاح فقال :

شببتم بينـكم فى القطر نارا على محتله كانت سلاما
إذا ما راضها بالعقل قوم أجد لها هوى قوم ضراما

ويظهر مرارته وأساه وألمه وأسفه فيقول :

ملـكنا مارن الدنيا بوقت فلم نحسن على الدنيا القياما
طلعنا وهى مقبـــلة أسوداً ورحنـــا وهى مدبرة نعاما
جعلنا الحـكم تولية وعزلا ولم تعـــد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا بأهواء النفوس فما استقاما

ويتخذ من الموت مسرحاً لخياله وأدبه ، فيصف حال عصره وأحوال دهره ، ويذكر مآثر مراثيه ووطنه فيقول :

شهيد الحق قم تره يتيما بأرض ضيعت فيها اليتامى
سقمت فلم تبت نفس بخير كأن بمهجة الوطن السقاما
أتذكر قبل هذا الجيل جيلا سهرنا عن معلمهم وناما(١)

ويصور فى قصيدته « مصائد الأيام » الإنسانية منذ طفولتها فى نشاطها العابث ومرحها الجامح ، وكيف يعدو الزمن عليها ، فتشيب الرؤوس ، وتتجعد الجباه ، وتتغير الوجوه ، وتتفرق السبل بهم وتتبـــاين أرزاقهم فيقول :

---

(١) راجع الشوقيات ج ١ ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

حياة يغامر فيها امرؤ تسلح بالناب والمخلب
وصار إلى العاقة ابن الغنى ولاقى الغنى ولد المترب
وقد ذهب الممتلى صحة وصح السقيم فلم يذهب
وغاب الرفاق كأن لم يكن بهم لك عهد ولم تصحب
إلى أن فنـــوا ثلة ثلة فناء السراب على السبسب(١)

عرف عن أحمد شوقى أنه كان حفياً بأفراد أسرته ، يدنيهم منه فى مجلسه ويداعبهم من حين لآخر ، وإذا أحس بتجهم أحدهم ، استدرجه حتى يعرف السبب ويعالجه ، وكان يحضهم على البشاشة ، ومقابلة الناس بالابتسام ، ومن هنا كان أباً عطوفاً ، ووالداً حانياً ينتشى فرحاً ومرحاً حين يتوجه والداه ، على وأمينه ، إليه ، فيداعبهما فى بساطة لا تصدر إلا عن أب زخرت عاطفة الأبوة كل فؤاده .

رأى فى إحدى السفن خلال عودته لمصر طفلة فيها مظاهر شبه عديدة بابنته أمينة ، فهاجت عاطفته ، وانطلقت شاعريته تسجل ما يدور فى خاطره ويعرب عن مشاعره نحو أمينة فيقول :

هـــذه نور السفينة هذه شبه « أمينه »
هذه صورتها منـــبئة عنها مبينـــه
هـــذه لؤلؤة عنـــدى لها مثل ثمينه
من بنات الروم لكن لم تكن عند مهينه
يا ملاك الفلك لى صنـــوك فى تلك المدينه
أنت فى الفلك بهاء وهو فى حلوان زينه
ناجه واذكر له وجـــد أبيه وحنينـــه
وافده إننى فى البـــحر مذ دست عرينه

(١) راجع الشوقيات ٢/١٨٦ .

لست بالنفس ضنينا وبه نفسى ضنينه
أســأل الرحمن يرعيـــك وإياه عيونه(١)

ويتحدث عن أولاده حديث الشغوف الحانى ، فنراه يذكر أولاده حسيناً وعلياً وأمينة فى معرض حديثه عن « الحجاب والسفور » فى قصيدته التى أولها : صداح يا ملاك الكنار ... وفيها يقول :

صداح حق ما أقو ل حفلت أم لم تحفل
جاوبت أندى روضة وحللت أكرم منزل
بين الحفاوة من حسـ ـين والرعاية من على
وحنان أمنـــة كأ مك فى صباك الأول(٢)

ويروى أن أحد أصدقاء أحمد شوقى أشار عليه أن يمنع « علياً » ابنه من التدخين أمامه ، فلم يستجب له ، وعلل أن ذلك يجعل قربه منه قصيراً ، بينما هو أحوج إلى قربه منه طويلا ، ولذا يقول فيه :

رزقت صاحب عهـــدى وتم لى النسل بعـــدى

يعاتب شوقى صديقه الدكتور محجوب على عدم وفائه لحصانه الذى سماه أصدقاؤه ، « مكسوينى » — إسم بطل إيرلندى انتحر جوعاً — لأنه لم يعرف للبرسيم طعماً ، ولا للفول مذاقاً ، بل يظل واقفاً أمام مقهى « صولت » فى انتظاره ، يشبع من رنة القيثارة ، ويشارك السكارى فيقول :

ولا والله ما كلفت محجـــوباً ولا بأبره
فلا البرســـيم تدريه ولا تعرف نواره

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٦ .
(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢١٨ .

وقد تروى عن « هما ـت » إذا ناديت سماره
وقد تسكر من خود على الأفريز معقـاره
وقد تشبـع بابن الليـ ـل من رنة قيثاره

وتراه إنساناً كريماً رحيماً فى ، ضيافة قطة ، تسللت لفراشه خلسة وولدت دون أن يدرى من أمرها شيئاً ، فلم يرعها ، بل أسبغ عليها من عطفه وحدبه ما يكشف عن إنسانيته يقول :

رأيت جـد الامهـا ت فى بنـاء الأسرة
فلم أزل حتى اطمأ ن جأشهـا وقرت
أتيتهـا بشرية وجيئتهـا بكسرة
وضمتهـا من جانبى مرقـدها بستر تى
وزودتهـا الدفء فقر بت لهـا بجمرتى
ولو وجدت مصيدا لجئتهـا بفـارة

ولم يقف جهد شوقى الإنسانى عند هذا الحد ، بل شارك الإنسانية — فى اى مكان — أوجاعها وآلامها ، عند ما روعت دمشق العربية بجلال الرزء ، عبر عما يشعر به من أسى وحسرة فيقول :

لحـا الله أنباء توالت على سمع الولى بما يشق
تكاد لروعة الأحداث فيها تخال من الخرافة وهى صدق
ألست دمشق للإسلام ظئراً ومرضعة الأبوة لا تعق
صلاح الدين تاجك لم يجمل ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارة فى الأرض طالت لها من سرحك العلوى عرق(١)

---

(١) راجع الشوقيات جـ ٢ ص ٨٩ .

لم تقتصر إنسانية شوقى على الإحساس بالأهوال التى تحل ببعض الدول العربية أو الإسلامية ، وإنما تجاوزتها إلى مسرح المجتمع العالمى ، فماكان يسمع أنباء زلازل اليابان ، حتى فاضت شاعريته تعبر عن مشاعره رغم اختلاف الصلات ، وبعد الشقة يقول شوقى .

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه ... وسل القريتين كيف القيامه
دنت الساعة التى أنذر النا ... س وحلت أشراطها والعلامه
قف تأمل مصارع القوم وانظر ... هل ترى من ديار عاد دعامه
خسفت بالمساكن الأرض خسفاً ... وطوى أهلها بساط الإقامه
لا ترى العين منهما أين جالت ... غير نقض أو رمة أو حطامه
حازهم من مراجل الأرض قبر ... فى مدى الظن عمقه ألف قامه
نحسب الميت فى نواحيه يعيى ... نفخة الصور أن تلم عظامه
أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا ... ذهبت ريحهم وشالوا نعامه(١)

والحق أن شوقى كان أكثر من غيره تأثراً بما يدور حوله سواء أكان فى مجتمعه أو بعيدا عنه ، وكان يروعه تساقط الشباب كأوراق الخريف ، ولم يزل رطباً نديا فى مقتبل حياته ، نراه يقف من انتحار الطلاب موقف الأب الحانى فيقول :

ناشىء فى الورد من أيامه ... حسبه الله أبا الورد عثر
لم يمتع من صبا أيامه ... ولياليه أصيل وسحر
عاف بالدنيا بناء بعد ما ... خطت الدنيا واهتدى وقهر
راحلا فى مثل أعمار المنى ... ذاهباً فى مثل آجال الزهر

---

(١) راجع الشوقيات حـ ٢ ص ١٠٣ .

ويتطرق شوقى للمشكلة وموقف المجتمع منها بمالها وما عليها ، فيستظهر غلظة والد لم يعرف للحب طريقاً ، فكيف بشاب لم يجد سوى عم يخترم جسده ، ولا زال غراً لم تصقله التجربة فيقول :

نزل العيش فلم ينزل سوى ... شعبة الهم وبيداء الفكر
ودروس لم يذلل قطفها ... عالم إن نطق الدرس سحر
ويلاقى نصباً مما انطوى ... فى بنى العلات من ضغن وشر
لم يرفرف ملك الحب على ... أبويهم أو يبارك فى الثمر
لو عصيتم كاذب اليأس فما ... فى صباها ينحر النفس الضجر
روحوا القلب بلذات الصبا ... فكفى الشيب مجالا للكدر(١)

وهكذا كان شوقى إنساناً يفهم سر الإنسانية ، فيعطف على الصغير ، ويتألم للمسكين ، ويتأثر للعاجز المستكين ، ويشارك الناس أفراحهم وأتراحهم ويشجيه آلامهم ، ويفرحه ما يراه من مظاهر البشر على وجوههم ، ويصوغ ذلك كله فى قصائد تحمل رقة نفسه ، وذوب فؤاده ، وفيض مشاعره ، ونبل أحاسيسه .

تلك هى مظاهر العاطفة فى شعر أمير الشعراء ، لم تكن منحرفة يوماً ما ، وإنما تضمنت الأحداث فى قصائد ساحرة تفيض بالحيوية الدافقة استهدف شوقى من ورائها إصلاح أحوال المسلمين على أساس دينى ، والتغنى بالوطن وآثاره ، والاقتداء بسير الأعلام وتضحياتهم ، وإشاعة التسامح بين الناس ، وبث المثل الفاضلة ، وإيثار التضحية ، والبذل والفداء فى فترة البعث وإحياء الأمجاد .

---

(١) راجع الشوقيات ١/١٥١-١٥٤ .